(٤)

نحن وجنون الفلوس*

دقت الساعة واحدة، إنها الواحدة بعد منتصف الليل، العيادة خالية من بضع دقائق، وآخر مريض قد انصرف بعد أن خلف فى خزانة الدكتور الضريبة وقدرها ثلاثون جنيها وأخذ وصفة طبية فى صفحتين فيهما أدوية لكل أمراض البدن، لأن صاحبنا الدكتور رجل شامل، وإذا لم ينفع هذا الدواء نفع ذلك والاحتياط واجب الدكتور هلكان لا يكاد يقيم صلبه، وها هو ذا متجمع فى كرسيه يراجع قائمة مرضاه الذين مروا به اليوم بعد الظهر.

والموعد الرسمى لبدء هذه العيادة المسائية الرابعة بعد الظهر، فى هذا الوقت كان سيادته يختم غداءه بعد مهابرة الصباح فى عيادة المستشفى الحكومى أولا من التاسعة صباحا ثم فى عيادة الصباح هنا من الثانية عشرة وربع.. وبعد الغداء نهض وأوى إلى الفراش إلى السادسة ثم أخذ دشا ولبس نيابه، وكان فى العيادة بعد السابعة مساء بدقائق منذ الثالثة بعد الظهر والمرضى يتراكمون هناك حتى جلسوا على السلم وها هى ذى قائمة بأسماء من كشف عليه منهم وهم ستة وعشرون يضاف إليهم اثنى عشر مريضا قديما أتوا للمراجعة. الأولون يدفعون ثلاثين جنيها للواحد والآخرون عشرة وهذه قائمتهم إنه يعملها بغاية العناية لا للاحتفاظ ببيان بمرضاه بل للحساب لأنه لا يقبض هذه الأتعاب من المرضى بنفسه بل يحصلها اثنان من الممرضين الأشداء فى الخارج وسيستدعيهما الآن للحساب المجمع ٩٠٠ جنيه لا بأس نضيف إلى ذلك أربعمائة وعشرين جنيها من الصباح، فإيراد اليوم من العيادة ١٣٢٠ جنيها يضاف إليها إيراده من المستشفى الذى

---

* نشرت هذه المقالة فى ٢٨ يونية ١٩٨٧م.

يقضى فيه ساعتين ونصفا فى الصباح ثم أربع زيارات منزلية حصيلتها مائتا جنيه فالمجموع ١٧٥٠ جنيها. يوم جميل ولكنه عادى هذه الأيام.

ثم ينادى المرضين فيدخلون ومعهما المرضة التى تساعده فى الكشف ويبدأ الحساب بعد تصحيح المغالطات – ولابد منها – يتم الحساب وتخرج هيئة التمريض والتحصيل وتفتح الخزانة الحديدية الضخمة ويستقر فيها المبلغ الموقر وتغلق بإحكام وعناية، ويخرج الدكتور محطم الجسد منتعش الروح ويدخل فى سيارته بعد ثلث ساعة يكون فى البيت حيث تنتظره أم زينب الخادمة العتيقة لتضع له العشاء لقد نامت زوجته وبنتاه من نحو ساعة، وبعد الطعام والاغتسال يتحدث مع ابنه المهندس جلال بالتليفون هذه آخر طقوس اليوم ثم يدخل غرفة النوم بحذر لأن السيدة حرمه نائمة على سريرها فى يسار الغرفة، ويدخل هو فى السرير الأيمن ويتغطى، وهنا فقط يحس بمقدار تعب بدنه إنه هلكان وكل عضو فى جسمه (مدشدش).

شىء من الخوف يسرى فى جسده من نحو عشرة أيام يشعر أن صحته ليست كما كانت. هبوط عام يشمل الجسد كله. وإنه يبدأ مع الضحى، ولكن العمل يغطى عليه وفرحة الفلوس تنسيه، ولكنه هناك والتعب يتزايد ومن التاسعة ليلا يبدأ شعور عام بالضعف والهزال وتبدأ فناجين القهوة وحلاوة الفلوس تصبح حلاوة روح، والحصان يتعازم ويجر العربة حوالى الحادية عشرة يصبح الحصان حمارا. وفى الثانية عشرة يصبح حمارا صغيرا هزيلا كهذه التى تجر عربات الزبالة. وتتوقف فناجين القهوة فقد ابتلع منها أربعة فى الليل، وهذا حد أقصى والآن وهو فى الفراش يشعر أنه دون حمار عربة الزبالة إنه سلحفاة مكومة تحت الكنبة ويسأل: ليه؟ لماذا هذا الجهد كله. إنه لا يذكر أن اكتشف فى واحد من المرضى الذين رآهم اليوم شيئا ينفعه كطبيب، ولا يذكر أنه وصف علاجا ينفع المريض

كمريض، ولكنها كلها أشباح تتوالى ولا تخلف غير الفلوس حتى قائمة مرضى اليوم مزقت بعد الحساب والقبض إربا وفتافيت هربا من الضرائب، وإذن فلماذا هذه المهابرة كلها وحساباته واستثماراته تخطت المليونين بعد الأملاك والعقارات طبيب هو أم رجل أعمال أم سمسار؟

في الصباح فعلا لم يستطع النهوض كل أعضائه رفضت أن تستجيب، عرف ما عنده لأنه طبيب، ولكن رعدة من الخوف سرت في جسده كله، وهو يسمع امرأته وبنتيه يبكين، والهلع في نشيجهن. ورجا امرأته أن تهدأ فلا شيء هناك إنه إجهاد شامل، وطلب إليها أن تستدعي صديقه الدكتور نجيب، وأتى الدكتور وطمأن الكل بوجهه الباسم ثم باشر عمله في الكشف على صديقه الهالك.

بعد ساعة من الكشف والبحث اطمأن قلبه وطمأن صاحبه إنه إجهاد شامل، والقلب في حاجة إلى تنشيط بعد حقنتين وتدليك وطبق من الحساء الساخن نام والطبيب الصديق جلس يقرأ الجريدة في الشرفة إنه طبيب عاقل لا يستقبل في اليوم إلا عشرة مرضى، وكشفه مع ذلك عشرة جنيهات، وهو جراح ماهر أيضا، ولكنه لا يزيد على ثلاث عمليات في الأسبوع. واليوم يوم العمليات، وعنده عملية مرارة ولكنها ستكون ساعة الظهر، فعندنا وقت، سيضيف إليها اليوم عملية طارئة هي إيقاف نزيف في عملية ناسور أجراها جراح طيار عملها دون إتقان، أجرها وطار إلى أوروبا ليحضر مؤتمرا فيما زعم، والمريض عربي دفع بالدولار والدكتور نجيب يعيد العملية ويضبط كل شيء دون أن يفكر في نقود: لا دولار ولا مزمار. وإنما مريض وطبيب والطبيب يعالج بأمر الله وإذن الله، الشافي هو الله، وبالأمس أمضى الدكتور نجيب ساعتين يكشف على المريض للمرة الثانية وبيده كل البيانات والرجل سيشفى بإذن الله.

في الثانية عشرة إلا ربعا صحا الطبيب المريض وقد عادت الدموية إلى وجهه والحرارة إلى جسمه. ولكن الدكتور نجيب نصحه بألا يتحرك وكل

أعمال اليوم لا بد أن تلغى ولا مفر من الطاعة. وفى لهفة يستدعى الطبيب المريض ابنه المهندس ويعطيه التعليمات بشأن النقود التى فى الخزانة ويذهب الابن ومعه مفاتيح السعادة ويأخذ المال ويبلغ هيئة التمريض نبأ مرض أبيه وإيقاف العيادة أسبوعا. ويأمر بتنظيف العيادة وغسيلها غسلا تاما. والمهندس الشاب يتعجب من تهالك كل ما فى هذه العيادة فمعظم الكراسى مكسور والقطن مطل من كل الكنب وبعض زجاج النوافذ مهشم وغرفة الطبيب والكشف مزبلة وعينات الأدوية فى كل مكان ونصف المكتب مغطى بكتب هزيلة ومجلات ونشرات لم تقرأ. كل شىء هنا قديم وقذر ومهلهل، ومقابر الفراعنة أحسن من هذا بكثير وحمام الدكتور لا بأس به ولكن حمام المرضى به كل بأس ويبدو أنه مصاب بالإيدز، والمهندس أعطى تعليمات بالنظافة التى تحتاج إلى ثلاثة أيام، ولكنه أغلق غرفة أبيه بالضبة والمفتاح وحذر من المساس بها وهذه تعليمات السيد الوالد.

وبعد الظهر بقليل أخذ الطبيب المريض حقنة وأكل حساء ساخنا. وفاكهة مطبوخة بالسكر، وشعر بالعافية تدب فى جسده ونام، وهذه تعليمات الدكتور نجيب.

وعندما نام الدكتور بدأت حكايات أخرى مع الفلوس فإن البَنَتين أخذتا من الأم حوالى ثلاثمائة جنيه، وذهبنا فى سيارة الصغرى منهما – هدى – لتشتريا فستانا وجوارب حريمى وأدوات تجميل ومجلة أزياء (١٦ جنيها) واستأجرتا أفلام فيديو واشتريا حلوى، ولم تعودا إلى البيت إلا عندما تلاشت المئات الثلاث.

فى نفس الوقت كانت الوالدة تتفاوض فى البيت مع السباك لإصلاح الحمام وإعادة تركيب بعض مربعات القيشانى، وذلك كله تكلف مائتين وخمسين جنيها، وكما أن أتعاب الكشف عند السيد الدكتور لا تحتمل المناقشة، فكذلك أجرة السباك، وفى المناقشة مع السيدة قال لها إنها

ينبغى أن تحمد الله على أنه أتى لأن قائمة الانتظار لديه طويلة. وهذا الخلاط الجديد الذى ركبه فضل منه وكرم، فهو إيطالى معدوم فى السوق، ولو بيت آخر لدفع فيه خمسة وسبعين جنيها، ولكن سيادته تنازل وتواضع وأخذ – ضمن ما أخذ – خمسين جنيها فى الخلاط ولأن الفلوس تأتى بسهولة فهى أيضا تذهب بسهولة.

وعندما أتى الدكتور نجيب الساعة الرابعة بعد الظهر كان المريض نائما ما يزال، والسيدة كانت تفاوض عاملا يعمل مع اثنين مع صبيانه فى تركيب ستائر جديدة للشبابيك والعامل يطلب أربعمائة وخمسين جنيها، ويتحدث فى غضب لأن السيدة سبق أن وافقت على ذلك المبلغ وهو اشترى وعمل كل شىء من مائتى جنيه سبق أن أخذها وهو يصر الآن على أن يأخذ مائتين وخمسين قبل التركيب والسيدة تؤكد له أنها لا تملك الآن إلا مائتين والرجل يرفع صوته. وأخيرا يكون اللجوء إلى الدكتور نجيب الذى نصح منذ البداية بأن يعطى العامل ما طلب، فهو أسطى كبير معروف، ومناقشة الأسطوات الكبار المعروفين لا تجوز. وأخذ الدكتور نجيب كرسيا وجلس يتسلى بتأمل الأسطى الكبير وصبيانه.

وكان الأسطى قد أقسم – أثناء المناقشة – بالطلاق والعتاق إنه لا يملك فى جيبه عشرة جنيهات. وهو وصبيانه فى حاجة إلى سجائر وليس مع أحد منهم ما يشترى به السجائر. والخمسون جنيها التى دفعها الدكتور نجيب هى التى فرجت الدنيا على الكل.

وقال الدكتور للأسطى إبراهيم.

– ولكن يا أسطى أين تذهب النقود!

وكأن الدكتور داس على دمل فانفجر الأسطى إبراهيم يقول: وهل يدرى أحد فى أيامنا تلك أين تذهب النقود؟ إن دخلى فى اليوم يا دكتور لا يقل عن خمسين جنيها خالصة مشفية. أحيانا تصل إلى مائة. وهؤلاء

الصنايعية يومية الواحد منهم من عشرة إلى خمسة عشر جنيها، وكلنا يا دكتور مفلسون وماذا نعمل وعلبه السجائر بجنيه ونصف والبطيخة بخمسة جنيهات والبيضة باثنى عشر قرشا. والرغيف بخمسة قروش وكيلو اللحم بتسعة جنيهات، وعندى فى البيت امرأتى وخمسة من الأولاد وأمى وحماتى والطاحونة دائرة وما يأتى يذهب أولا بأول.

– كنت أحسب أنك تدخر.

– وكيف أدخر يا دكتور وعندى تسع طواحين تعمل دون رحمة؟.

– بل تستطيع أن تدخر. إن متوسط إيرادك الصافى المشفى – كما تقول فى اليوم – سبعون جنيها ونصفها لابد أن يدخر.

هذا صحيح، ولكنى قلت لك إننا تسعة فى البيت، تسعة يلتهمون الزلط، والأسعار نار فكيف أدخر؟

– اسمع يا بنى إن الإدخار اساس من أسس الحياة، مادام الإنسان يكسب فلابد أن يدخر. إنك تكسب سبعين جنيها فى المتوسط، فلابد أن تدخر نصفها على الأقل، تدخر النصف أولا. وتضعه فى البريد أو البنك وتنساه، ثم تنفق من الباقى وكأنك لا تملك غيره، ولو أنك تكسب سبعة جنيهات فى اليوم لا سبعين فإن اثنين منها تذهب إلى البريد أو البنك وتكون النفقة كلها من الخمسة الباقية. إنها قاعدة أساسية من قواعد الحياة، بل هى قاعدة أخلاقية. لأنك من الممكن أن تحتاج، ومن الممكن أن تمرض، وحتى بدون هذا أو ذاك فإنك كإنسان محترم ينبغى أن يكون عندك مال مدخر، لأنك لن تعمل بهذه القوة إلى الأبد. لابد – إن أطال الله عمرك إن شاء الله – من أن تكل أو تشيخ وتعجز، وهنا يسعفك مدخرك ثم إن لك فيما أتصور بنات وهؤلاء لابد أن يتزوجن، والزواج تكاليف بل قد يتوقف زواج بناتك على ما أدخرت لهن. هل كان يخطر ببالك أنه سيجئ

يوم يكن فيه دخلك اليومى سبعين جنيها؟ إذن فكيف تقف بعد أن وصل بك الدخل إلى هذا المستوى وتقول إنك لا تملك ثمن السجائر؟

– كل ما تقوله حق. ولكننا لا نستطيعه لقد نشأت وتعلمت على يدى أسطى إيطالى يسمى ربالو وهو الذى علمنى الصنعة، وكانت الستارة فى أيامه تتكلف ما بين ثلاثة وخمسة جنيهات.. وكان عدد الذين يركبون الستائر واحدا على مائة من عددهم اليوم الأجانب والباشوات فقط هم الذين كانوا يعرفون الستائر، أما نحن المصريين فلن تكن تعرضها إلا الدكاكين والمقاهى، وكان المحل يعمل فى اليوم ستارتين أو ثلاثا على الأكثر، وكنا عنده ثلاثة عمال، ومع ذلك فقد كان الخواجا ربالو يدخر وكان حسابه فى الكريديه ليونيه ضخما، وعندما أنهى عمله فى مصر وباع لى المحل سافر ومعه آلاف، لأن هذه طبيعتهم أما نحن فلا نعرف الإدخار أو التحويش، لأننا نقول إن الرزق على الله والله لا ينسى عباده، وأنت عندما تنفق ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب، وأنا الآن أسطى من ثلاثين سنة، ولا حساب لى فى بنك أو بريد ولكننى أيضا لا أحتاج..

– بل تحتاج. واليوم فقط كنت محتاجًا وكدت تتهور على السيدة لأنك كنت محتاجا ولا أحد يابنى يعرف الغيب، فقد يأتى يوم تحتاج فيه دون أن يكون لك شىء عند هذه السيدة أو غيرها.

ثم توقف لحظات وعاد يقول.

– معذرة.. لقد ضيعت وقتك.. الآن تفرغ لعملك.. وها هى ذى السيدة مقبلة. لابد أن زوجها صحا من نومه، وأريد أن أراه لأننى أريد أن أنصرف.

□□□

ودخل على صديقه فوجده نصف جالس فى فراشه ووجهه يبتسم فاطمأن قلبه، واقبل عليه يتبادل الرأى والحديث، وتم الاتفاق بينهما على

أسبوع إجازة وعلاجا وكتب لصديقه خطة العلاج واستحلفه بألا يعبث بصحته، وما حدث كان إنذارا، وهو ليس الأول من نوعه بل الثانى، وأنت طبيب وتعرف أن الثالثة غير مأمونة..

– أعرف يا دكتور نجيب ولا أنسى معروفك انصرف أنت راشدا وأنا أتولى نفسى.. أجلس لحظة فقد أتتك السيدة بالقهوة.

وجلست السيدة وقالت:

– ماذا كنت تقول لهذا الأسطى؟

– كنت أريد أن أعلمه شيئا ينفعه.. أردت أن أعلمه الادخار إن الادخار ياسيدتى رمز حضارة، والأمم فريقان: أمم تدخر، وأمم تنفق، والأمم المدخرة سيدة الأمم المنفقة، لأن الادخار فلسفة حياة إنها إرادة وعقل وحكمة. تصورى إن هذا الأسطى يتقاضى منا ثلاثة أضعاف ما يستحق فهو يأخذ فى مقابل هاتين الستارتين اربعمائة وخمسين جنيها وهى فى الحقيقة لا تستحق إلا مائة وخمسين.

– وسمع ذلك الدكتور المريض فصرخ:

– كم يأخذ هذا الرجل؟ قلت أربعمائة وخمسين؟ هذه سرقة أوقفوا العمل حالاً..

– لا تغضب يا صديقى فأنت تعرف أنك مريض ثم إن الرجل أخذ كل نقوده فلا معنى لاحتجاجك لأنك مهما فعلت فلن تسترد منه مليما، وكلهم يا أخى كذلك وأنا شخصيا لست كارها لذلك، لأننى عندما أرى المال الكثير فى أيدى هؤلاء الناس أحمد الله أنهم على الأقل لم يعودوا يشعرون بأنهم مظلومون أو مستغلون، بل هم يأخذون ما يطلبون، وهم يعرفون أنهم يضطهدوننا، ولكننا نطمئن بذلك فما دام العامل يأخذ ما يعتقد أنه حق، فلم يعد هناك موضعا للحقد أو الحسد أو الكراهية.

ثم نظر فى ساعته وقال: الآن لابد أن أمضى فقد حان موعد عيادة بعد الظهر.

وأوصى صديقه بمراعاة العلاج وصافحه وأخذ يده بين كفيه وربت عليها وقال لا أوصيك بنفسك وأراك غدًا إن شاء الله.. اقترب الطبيب المريض من زوجته وسأل فى فزع..

– أحقا يأخذ هذا الأسطى أرعمائة وخمسين جنيها؟

– لقد أخذها فعلا وهى حقه: إننا نريد أن يكون بيتنا على مستوانا، وقد وهبنا الله المال فلماذا نقتر على أنفسنا.

– ولكنك ترين الشقاء الذى أعانيه للحصول على ذلك المال.

عندك فوق المليونين يا دكتور وربعهما يكفينا ونحن لا نريدك أن تهلك نفسك.

– نريد أن يكونوا ثلاثة ملايين أو أربعة ما الضرر؟

– الضرر أننا نفقدك يا دكتور وهذه أكبر خسارة. تصيبنا، أنت روحنا ورأس مالنا ونحن بحاجة إلى كل نفس من أنفاسك.

– طبعا لكى تمضوا فى تبذير المال.. أنا أعمل وأجمع وأنتم تنفقون كالمجانين ستائر بأربعمائة وخمسمائة جنيه.. وماذا يحدث للدنيا إذا أمضينا عاما أو عامين زيادة بالستائر القديمة؟

– كنا ننزل بمستوانا.. أنت تعرف أن لدينا بنات على أبواب زواج ولابد أن يتزوجن على مستواهن.. إننى لا أحاسبهن على إنفاق فى ملابس أو تجميل أو أى شىء.. ما دمت أنت لا تريد أن تسمع لى فى شأن العيادة والطب فدع لى البيت على الأقل.. كم كنت أود لو كنت فى هذه الناحية مثل صاحبك الدكتور نجيب.

– هذا مجنون يا ست هانم.. إنه طبيب ممتاز ولكن عقله ليس على ما يرام.. كان أول دفعتنا وأولنا تعيينا، وسافر ودرس سنتين على حسابه.. انفق أربعة آلاف جنيه لكى يستزيد من العلم كما قال، أليس هذا جنونا؟ ثم عاد وسبقنا كلنا فى الوزارة وأصبح وكيل وزارة، ثم يترك هذا كله

ويستقيل لكى يتفرغ للعلاج.. هل هناك طبيب محترم ويكتفى فى اليوم بعشرة مرضى وفى الأسبوع بعمليتين أو ثلاث، أليس هذا مجنونا يا ست هانم؟ إنه لا يملك عشر ما أملك ومضى يتكلم ويتكلم، وعندما سكت قالت:

– أنت تعرف أن أبى كان مدير فرع بنك مصر فى المنصورة، وكان عالما فى الاقتصاد، وأنا أيضا خريجة تجارة، وأذكر أنه قال لى مرة إن قيمة الإنسان تحددها – من بعض الوجوه – علاقته بالمال وموقفه منه.. لقد ذهبت عقب تخرجى مع أبى إلى أوروبا، رافقته فى مهمة لبنك مصر فى إنجلترا وكانت المهمة فى برمنجهام ومع بنك الميرلاند، ولا أنسى ما حييت الوليمة التى أقامها لنا مدير فروع ذلك البنك فى برمنجهام، لقد أنفق فيها ثروة غير ما أنفق فى الخمر التى شربوها هم، وقال أبى إن هذا الإسراف لم يكن له داع، ونحن فى بيت صديق، واقل من هذا بكثير كان يكفينا.

وقال هذا الرجل واسمه على ما أذكر المستر بيرس:

– يا مستر أحمد، إن مجيئك إلينا فرصة لنكرم أنفسنا.. لا تتصور أن هذا تكلف كثيرا وإذا كان قد تكلف فلماذا خلقه الله وصنعه الناس؟ لا تنسى يا صديقى إننا قوم نأكل معظم أيام العام الخضراوات والسمك، إذا لم نقم هذه الولائم فى تلك المناسبات نسينا ما نعرف من علم الطهو وفن الطعام.. إن الاقتصاد ياصديقى هو هذا: العيش على مستوى معقول ومقبول معظم العام ثم التفريج عن النفس فى يوم كهذا.. إننا شعب مقتصد، ولو أن دخلى فى الشهر كان مائة جنيه فحسب فلا بد أن أدخر منها عشرة أو عشرين على الأقل حتى أحتفظ بشعورى بالأمان واحترام النفس.. والمدخرات والودائع والتأمينات فى فروع مصرفنا هنا فى برمنجهام وحدها بلايين. وعندما يجىء مشروع يحتاج إلى مال تجد الناس يتدافعون

للمساهمة، ولهذا فإن برمنجهام هى الأولى فى المال الاقتصاد بين مدائن بريطانيا، وخمس الأسهم فى إنجلترا يملكها أهل بلدنا، ومصرفنا يملك شركات كبرى يستثمر فيها أمواله.. نحن نملك شركة بواخر وشركة موتورات وشركة أسمنت وثلاث شركات حديد وصلب، وأنا رقيت فى مكانى هذا حتى أصبح مركزى فوق مركز رئيس مجلس الإدارة فى لندن، وراتبى ضعف مرتبه، ثم تستكثر علينا هذه الوليمة! إن رخاء بريطانيا كله قائم على الادخار، وكل إنجليزى يدخر.. كما قلت لك إن علاقة الإنسان بالمال تحدد مستواه إنسانيا واجتماعيا وكذلك موقف الأمة من المال، والمسألة ليست مسألة ماذا تكسب وماذا تنفق، بل مسألة توازنك فى مسائل المال، أذكر أننى وأنا صغير حصلت على مكافأة عشرة جنيهات.. وكان قدرها إذ ذاك عظيما، فذهبت واشتريت بذلة غالية وما يلزمها، وبقيت فى النهاية ثلاثة جنيهات فتعشيت باثنين منها فى أغلى مطعم هنا.. وعندما عدت إلى البيت علقت البذلة فى الدولاب ووضعت القمصان والجوارب فى مكانها واغتسلت ودخلت السرير وأنا أشعر إنى أنفقت ذلك المال لأعد نفسى للمستقبل الأحسن،وفى حياتى لم أعمل ربع ساعة زيادة فى سبيل بنس زيادة ولا أنا غادرت هذا البلد إلى أمريكا لأكون أغنى.. كما فعل المئات غيرى.. بل صرت أغنى وأنا هنا لأننى حددت موقفى من المال بغاية الدقة من أول الأمر ثم نظر الرجل إلىّ وقال.. وأظن أننى فهمت ما قال:

– يقول لى أبوك إنك درست الاقتصاد ومعنى ذلك أنك تريدين أن تكونى اقتصادية لا بأس بذلك. ولكن لا تنسى أنك امرأة أولا وقبل كل شىء، ووظيفتك الأولى هى الزواج السعيد.. والاقتصاد يكون فى إدارة الزوج والبيت.

يومها لم أستطع الرد عليه.. ما كنت أتصور يومها أننى سأتزوجك، وقد سعدت بك واعتبر نفسى سعيدة بك وبأولادى.. ولكن علاقتك بالمال لا

تعجبنى، وأعتقد أنها ليست أحسن من علاقة صانع الستائر وصبيانه بالمال.. إنها غير متوازنة، وقد تعبت معك، ولكنك زوجى وأنا أحبك.. لقد حدثنى أبننا عن سوء حالة العيادة وأثاثها وفرشها وزجاجها وهذا لا يليق وها أنت ذا ترى ماذا كدت أن تفعل بنفسك.. هذه ثانى مرة تقع هذه الواقعة، ولن أسمح لك بالثالثة لأن فيها موتنا كلنا.. ونحن لا نريد المال بل نريدك أنت.. إننى غير سعيدة بجنون المال الذى يجتاح الناس جميعا فى بلدنا هذه الأيام، وكل منا يده فى جيب أخيه، لكننا نريد أن نكون أغنياء والنتيجة أننا كلنا فقراء، وأنت مثال ذلك.. تقتل نفسك، وتعر عيادتك فى سبيل المال، وماذا تعمل بالمال؟ ثم لا يعجبك الدكتور نجيب! ألست ترى أنه أعقلكم كلكم.. إنه سيد المال وكلكم عبيد المال، وبهذا الهوس ضعينا عملتنا ودسنا الجنيه بأقدامنا وكلنا نعرف أن جنيهنا أصلاً أكبر وأغلى من الجنيه الإنجليزى، ولكننا نحن أرخص.. وكل ما يدخل أيدينا يصبح رخيصا مثلنا حتى العلم والفن والجمال.

ونظرت فإذا زوجها قد نام. فقامت على مهل وخرجت حيث وجدت المعلم صانع الستائر هو وغلمانه ملطوعين تحت الحائط فى انتظار البقشيش.. فى جيبهم هذا المال كله ثم يهينون أنفسهم فى سبيل جنيه! وأخرجت ورقة ذات خمسة جنيهات وناولتها للرجل وقالت له: هذه تكفى؟

فقال الرجل:

– تكفى والبركة فيك.. بس شوفى الأولاد! وملكها الغضب وقالت:

– اتفضل من هنا يا معلم.. أرجوك!

واستحى الرجل ومال رأسه على صدره وخرج ومن ورائه غلمانه.